

## دراسات في الحديث والمحدثين

هاشم معروف الحسيني

ص:٣

دراسات في الحديث والمحدثين تأليف هاشم معروف الحسيني دار التعارف للمطبوعات بيروت لبنان

ص:٤

الكتاب - دراسات في الحديث والمحدثين . المؤلف - هاشم معروف الحسيني . الناشر - دار التعارف للمطبوعات. بيروت - لبنان - ص. ب ٦٤٣٠ - تلفون ٢٤٧٢٨٠. حقوق الطبع والتصوير محفوظة للمؤلف الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

ص:٥

تأليف هاشم معروف الحسيني دراسات في الكافي للكليني، والصحيح للبخاري يعرض هذا الكتاب لمحة عن الكتابة قبل الاسلام ومراحلها بعده، وعن الحديث ومراحل تدوينه واقسامه واصنافه وعن علمي الدراية والرجال، ويتعرض للصحابة والعدالة وآراء المحدثين والفقهاء فيهما، ويقارن ب بين العدالة التي اثبتها المحدثون لجميع الصحابة وبين العصمة التي اثبتها الشيعة لائمتهم (ع) كما يتعرض لموقف كل من الشيعة والسنة من الرواة ومجاميع الحديث، وللبخاري والكليني وتاريخهما والى صحيح البخاري والكافي ومكاتبهما عند الفريقين ويقدم امثلة منهما في مختلف المواضيع إلى غير ذلك مما يتصل بموضوع الكتاب مع الاختصار والتوضيح حسب الامكان، ويعتمد في جميع مباحثه على المصادر الموثوقة عند الفريقين.

ص:٧

مقدمة بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله والصلاة على محمد وآل بيته وصحبه الطيبين وبعد ... لقد وجدت وانا ادرس تاريخ التشريع واصوله اسرافا في التهم وغلوا لا مبرر له من السنة والشيعة في احكامهم على الفقهاء والمحدثين

من الفريقين ذلك الغلو الذي اتخذ طابع التعصب الطائفي الذي اطح بالقيم واحداث فجوة بينهما فرقتهم شيعا واحزابا، واصبحوا ينظرون من هذه الزاوية وحدها إلى آثارهم ومؤلفاتهم على اختلاف انواعها ومقاصدها، مع العلم بان تلك المؤلفات وبخاصة ما افه الفريقان في الحديث يمكن الاستفادة منه والاعتماد عليه إلى ابعده الحدود ما دام ينتهي في واقعه إلى مصدر واحد وهو الرسول الاعظم (ص) الذي يروى عنه الفريقان السنة بوسائهم والشيعه بواسطه أئمتهم (ع) وغيرهم من الموثوقين، ولكنهم بدلا من دراستها دراسة واعية شاملة بقصد الاستفادة

## ص: ٨

منها وتصفيها انكمش كل فريق على مؤلفاته وآثاره، واتهم الاخر بالتعصب والانحراف عن الحق، وقال السنة: ان الشيعة لا يقبلون الا المرويات عن أئمتهم على شرط ان يكون الراوى لها اماميا، ويرفضون جميع المرويات ولو كانت عن الرسول (ص) إذا رواها غيرهم صحابيا كان ام غيره ولو كان في اعلى درجات الايمان والاستقامة، وقد نبهت على خطأ هؤلاء الغلاة في كتابي المبادئ العامة للفقه الجعفري بما حاصله انه إذا كان بين الشيعة من لا يعتمد على مرويات الموثوقين من السنة عن الرسول (ص) فهو لا يمثل الشيعة، ولا يعبر عن رأيهم في هذه المسألة، لان كتب الحديث والرجال التي تعد بالعشرات تنص على قبول مرويات التقاة من السنة وغيرهم، ولدينا من الارقام ما يؤكد هذه الحقيقة كما سنتعرض لذلك في الفصول الآتية من هذا الكتاب . والى جانب هذه النسبة إلى الشيعة، نجد الشيعة انفسهم ينسبون إلى السنة بانهم لا يعتمدون على مرويات الشيعة ويطرحون الحديث إذا كان رواه كلهم أو بمضمون من الشيعة استنادا إلى كثير من المصادر السنية التي تؤكد هذه الحقيقة، تلك المصادر التي ينص بعضها على وجوب طرح الحديث لمجرد انه يتفق مع بعض معتقداتهم، أو لان فيه رائحة التشيع هذا بالاضافة إلى ما ينسبه كل فريق الى الاخر من خلال بعض المرويات المدونة في مجاميع الحديث عند الطرفين بدون تدبر في مضامينها وتحقيق في اسانيدها وقبل ردها الى الاصول المقررة عند الفريقين، ونتيجة لهذا الاسراف والغلو في الاتهامات ولما تولد عن ذلك من المضاعفات اتسعت المسافة بينهما واتخذ شكلا كريها بعيدا عن منطق الدين والحق، ونبد كل منهما ما عند الآخر من ثروة فكرية يمكن الاستفادة منها إلى ابعده الحدود . وكان بالامكان لو كانت النفوس طيبة، وتجرد الباحثون إلى طلب

## ص: ٩

الحق الاستفادة من كتب الحديث واستغلالها لخدمة الدين سنية كانت أم شيعية لانها وان اختلفت من حيث روايتها ومصادرها الا انها تلتقى في كثير من محتوياتها ومضامينها، وتعبّر عن السنة النبوية المطهرة، بالرغم من اننا لا نؤمن بكل ما جاء فيها من المرويات سواء في ذلك الصحاح الستة المعتمدة عند السنة، أو الكتب الاربعة التي يعتمدها الشيعة من المصادر الموثوقة في جملتها بين كتب الحديث . اجل اقول ذلك وبين يدي كتابان من كتب الحديث وهما

الصحيح للبخارى والكافي لكليني، ولست مبالغاً إذا قلت بأنهما من أوثق الكتب في موضوع الحديث عند السنة والشيعه وأغناها بالآثار الإسلامية التي تناولت جميع الشؤون الإسلامية وامتدت الفكر بالانتاج والابداع في مختلف المواضيع، ذلك لان ما جاء به الإسلام من القوانين والانظمة والاداب وغير ذلك من المناهج التربوية والاجتماعية وضع اصول هذه المناهج وقواعدها القرآن اولاً، وتعهدت السنة بتفصيلها وتوضيح مشكلاتها ومجملاتها، وستبقى السنة الى جانب القرآن مصدراً غنياً بتلك الثروة التي تمد الاسلام بالخلود والبقاء حتى يرث الله الارض ومن عليها. ولو وقف المسلمون بعد وفاة الرسول (ص) من السنة موقفاً سليماً وعملوا على تدوينها وجمعها من صدور الحفاظ قبل ان تأكلهم الحروب والغزوات وقبل ان تعبت بها ايدي الدساسين والمخربين، لو وقفوا منها هذا الموقف لقطعوا الطريق على هؤلاء وغيرهم من المرتزقة الذين كانوا يتقربون إلى الحكام بوضع الاحاديث التي تمس اخصامهم السياسيين وتؤيد عروشهم، ولكن الحكام بعد وفاة الرسول (ص) بدلاً ان يفسحوا المجال لجمعها من الصدور قيل ان تعبت بها الايدي، منعوا من تدوينها وجمعها في الكتب بحجة المحافظة والحرص على كتاب الله كي

## ص: ١٠

لا تحتل مكانته من القلوب والنفوس، كما تحدد اكثر الروايات موقف الخليفة الثاني من هذه المسألة . ومهما كان الحال فقد عبثت الايدي في الحديث بسبب هذا الموقف السلبي من تدوينه، ولعبت السياسة والطائفية دورهما البغيض في مرويات المحدثين من السنة والشيعه كما شاء لها الهوى والغرض حتى حدثت تلك الفجوة العميقة بين الفريقين، واصبحت المجاميع الشيعية بنظر اخوانهم من السنة اداة طيعة لهدم الدين، وتشويه معالمه - لان اصحابها ورواة احاديثها وضاعون كذابون على حد زعمهم، تفوح منهم رائحة الرفض وتبدو من محتوياتها مبادئ التشيع الهدامة على حد تعبير بعضهم، والشئ الطبيعي في مثل هذه الحالات ان يكون لهذا التعصب اثاره السيئة في نفوس الشيعه التي تفرض عليهم ان ينظروا إلى صحاح السنة ومجامعهم نظرة مليئة بالرؤية والحذر والتشكيك لاسيما وهم يرون البخارى بصفته من اوثق المؤلفين عند السنة وكتابه من اصح المجاميع في الحديث لا يروى عن جعفر بن محمد الصادق ولا عن الائمة سن ولده الاطهار، ويروى عن الاشرار والفجار كمعاوية ومروان بن الحكم وعمران ابن حطان الخارجي، الذي قرض عبد الرحمن بن ملجم وامتدحه لانه قتل امام المسلمين وسيدهم علياً (ع) ويعتمد على العشرات ممن لم تتوفر فيهم الشروط التي تيسر للباحث الاطمئنان بصدور الحديث عن الرسول (ص) وغيره من اعلام الصحابة الذين اخذوا من الرسل مباشرة، لهذا ولغيره من الاسباب والملايسات كان من المفروض على الشيعه ان يقفوا من مرويات السنة موقف المتحفظ الذي يريد ان يستوحى اقواله واعماله من الواقع الذي يحسه ويطمئن إليه، وإذا شذ بعضهم عن هذا المبدأ وتأثر بالاستفزات الموجهة إلى الشيعه ووقف من مروياتهم موقفاً سلبياً متنكراً لما فيها من الغرر والدرر فهو لا يعبر عن رأى الشيعه ولا يمثلهم في مثل هذه المواضيع.

ومهما كان الحال فقد الف الشيعة في الحديث عشرات الكتب خلال القرون الثلاثة من الهجرة وكانت هذه الكتب مصدرا لكتب الاربعة التي فيها الكليني والصدوق، والطوسي في القرنين الرابع والخامس، كما الف السنة في الحديث بعد ان اتجه العلماء الى التدوين العشرات من الكتب بما في ذلك الصحاح الستة في الفترة نفسها، وظهر من خلال المدونات الشيعية، ان الشيعة قد اعتمدوا على مرويات الائمة اكثر من غيرها باعتبارهم المصدر الامين الحاكي لافعال الرسول وافعاله، واخذوا عنهم اكثر مدوناتهم، كما اتجه السنة فيما دونه إلى غيرهم ممن يتقون به من الرواة والصحابة، واعتبروا الائمة (ح) من ولد الرسول (ص) كغيرهم من الرواة والفقهاء يخضعون للنقد والتجريح والتوثيق، فروى عنهم فريق، وتجاهلهم آخرون ولعل محمد بن اسماعيل البخارى الوحيد بين اصحاب الصحاح من حيث تجاهله لاكثر الائمة وتلامذتهم المنتشرين في جميع البلدان وبخاصة البلاد التي رحل إليها في طلب الحديث كمدن العراق والحجاز وغيرهما. ونظرا لان الكافي من ابرز كتب الحديث عند الشيعة، والصحيح للبخارى من اصح المجاميع عندهم قد اخترتهما لهذه الدراسات التي تضمنها هذا الكتاب بروح مجردة عن التعصب والهوى، متحريرا الحق اينما كان، وابرز بعض الحقائق التي احيطت بالغموض والتشويش، نتيجة لعامل السياسة والطائفية والزمن وغير ذلك من الملايسات والاسباب كما وانى قد حاولت التخفيف من حدة الموقف ا لذي اوجد تلك الفجوة الواسعة بين الفريقين، وعرضت لهذه الغاية بعض موارد الالتقاء بين الجامعين وما تفرد به كل منهما مما يتفق مع روح الاسلام وسماحته وما هو بعيد عنها، ولم اجد بدا من الوقوف عند بعض المرويات والتعليق عليها احيانا بدافع الحرص على كرامة السنة وتنزيهها عما الصق بها زورا وبهتاناً.

كما وانى عندما وقفت بجانب الكليني في بعض المواضيع لم يكن ذلك منى بدافع التحيز له، ويستطيع القارئ ان يتأكد من هذه التحقيقة من موقفي معه في كثير من مروياته في كتاب الحجّة، وانما وقفت إلى جانبه في بعض المواضيع لانه قد تعرض لاعنف الهجمات من بعض مؤلفي السنة بدون مبرر لذلك. ومن امثلة ذلك الهجوم الذي تعرض له من ابى زهرة في كتابيه الامام الصادق (والامام زيد بن علي) لانه دون في الكافي بعض المرويات التي تشعر بتحريف القران، فقد اتهمه أبو زهرة وغيره بالنفاق من اجل ذلك، ودعا إلى التشكيك بجميع مروياته، مع العلم بان احاديث التحريف التي تستر بها المهاجمون للكليني رواها البخارى وغيره من المحدثين في مجاميعهم بشكل اوسع واصرح في التحريف صما رواه الكليني حول هذا الموضوع، ومع ذلك لم يتعرض البخارى وغيره من المحدثين لمثل تلك الهجمات والاتهامات ولم يطالبوا بطرح مرويات تلك الصحاح بكاملها، كما طالبوا بذلك بالنسبة لمرويات الكافي، ولا اغالي إذا قلت بان الحملات التي وجهت إلى الكافي، لو وجهت إلى البخارى وحده في موضوع يشترك فيه مع الكليني لوقفت إلى جانبه بنفس الروح التي وقفت فيها إلى جانب الكليني . ومجمل القول هو انى قد اخذت على نفسى في الدراسات التي تضمنها هذا الكتاب ان لا اجامل احدا، ولا احابي فريقا مهما كانت النتيجة، ولا اقول

الا ما اعتقد انه الحق، لا ابتغى من وراء ذلك الا رضا الله سبحانه فان وفقت لذلك فما ابالي بغضب من سواه، وان اخطأنى الحظ فارجو ان احظى برضاه فيما بقى من عمرى . وقد اعتمدت فى جميع المواضيع التى اشتمل عليها هذا الكتاب على المصادر الموثوقة عند الفريقين السنة والشيعه، ومنه سبحانه استمد التوفيق لما يرضيه ويقربنى إليه والاخلاص فى العمل انه قريب مجيب.

---

ص:١٣

الفصل الاول لمحات عن الكتابة والحديث ومراحل تدوينه

---

ص:١٥

لا يخرج الباحث فى احوال العرب وتاريخهم صفر البيدين من معرفة العرب للكتابة، ذلك لان الدراسات العلمية تؤكد ان العرب ولاسيما سكان الاطراف الشمالية للجزيرة قد تعلموا الكتابة واتقنوها قبل الاسلام بزمن بعيد، نتيجة لاتصالهم الوثيق بالفرس والرومان، وتدل المصادر التاريخية ان جماعات كثيرة من عرب الحيرة قد اتقنوا اللغة الفارسية وكتبا بها، وتولى بعضهم ادارة دواوين ملوك الفرس والترجسة لهم والاشراف على الكثير من شؤونهم، ومن هؤلاء عدى بن زيد وولده اللذان كانا من الصق العرب بقصور الفرس والامارات العربية بالحيرة وغيرها . وجاء فى فجر الاسلام لاحمد امين، ان لعرب الحيرة وامرائهم وتاريخهم اثرا كبيرا فى الادب العربى والحياة العقلية للعرب عامة كما تدل على ذلك احاديث جذيمة الابرش واساطير الزباء، والخورنق والسدير وما جاء حول سنمار بانى الخورنق، ويوما النعمان، يوم بؤسه ويوم نعيمه وغير ذلك من القصص والاساطير التى احتلت الصدارة فى شعر العرب وادبهم قبل ظهور الاسلام، وظلت زمنا طويلا تحتل الصدارة فى المدونات التاريخية والقصصية بعد ظهور الاسلام.

---

ص:١٦

وجاء فى الاعلاق النفيسة (لابن رسته) ان عرب الحيرة علموا قريشا الزندقة فى الجاهلية والكتابة فى صدر الاسلام، ولا يعيننا تقييم هذه النصوص من الناحية العلمية والتاريخية بل اوردناها كشاهد على ان الامية لا تكن متفشية بين العرب بالشكل الذى يتصوره بعض الكتاب والمستشرقين وبخاصة عرب الحيرة وبادية الشام لانهم عاشوا زمنا طويلا مع جيرانهم الفرس والرومان، وبحكم الظروف التى كانت تحيط بهم والمراحل التى مروا بها مع تلك الامم المتحضرة ليس من البعيد عليهم ان يتعلموا الكتابة، وان ياخذوا عنهم العلوم والعادات التى تمس حياتهم و تسهل لهم سبل العيش والحياة الحرة الكريمة كما لا نستبعد ان يكون لعرب الحجاز ميزة على غيرهم من عرب الجزيرة من هذه